محمد حصار

ما أكثر الذين يموتون فلا ينزعج لموتهم خاطر ، وما اكثر الذين يفارقون هذه الحياة فلا تذهب النفس عليهم حسرات ولا تسيل لفقدهم شئون لانهم عاشوا لانفسهم خاصة لا للناس وذهبوا لمستقرهم الاخير كما تذهب الدواب والانعام لمرابطها وتروح الحشرات لأحجارها ، هؤلاء الذين يموتون فلم نشعر بفقدهم ولم نأبه لموتهم كانوا اشبه بأحجار الوادي لم ينتفع بحياتهم مجتمع ولا استفاد منهم موجود ، تحسبهم ايقاظاً وهم رقود ، فلا عجب اذا نسوا بعد موتهم وقد كانوا امواتا في حياتهم ، وانما الميت ميت الاحياء ، أما الذين حفلت ايامهم بالعمل ، وكانوا حركة دائمة لا تعرف الوقوف ولا الركود فلن يكون للموت عليهم سلطان ما دامت ذكراهم ماثلة واعمالهم خالدة ومآثرهم ظاهرة للعيان .

بالامس عقد الموت على لسان شاب من خيرة شباب المغرب العامل وامتدت يد المنون الى روح اخينا محمد حصار فانتزعتها من ذلك الجسد الذي غالب الموت حيناً وظل يعاني من الالم الممض والداء العياء زمناً الى ان سقط قبل أن يكتمل النضوج وذهب في الغابرين في وقت اشد ما نكون حاجة الى جرأته وصلابة رأيه وسمو افكاره فوجفت لموته القلوب وبكته العيون وترك بين القليلين من امثاله فراغاً أي فراغ .

مات حصار الذي كان بحق مثالا للنشاط الذهني والذكاء الخارق والجرأة المدهشة ، وليس من ينكر ما كان له من امثال هذه الصفات المتفردة التي كانت تملؤنا اعجاباً وتجعل له في قلوبنا مكانا ، ولست بحاجة لان اعدد مواقفه المشرفة التي عرف بها واشتهرت بين الناس وانما اذكر له خصائص حباه الله بها وكانت له ظاهرة قوية من قوة اخلاقه تلك هي صلابة في الحق وصراحة مع الناس وحماسة عاطفة وكثيراً ماكانت كل هذه اسباباً جرّت اليه خصومات كثيرة مع بعض اصدقائه فنفض يده منهم وعاد يعمل وحده حسب وجهته التي ارتآها وغادر من غادر ملاحس البقر اولادها وايضاً ادت به تلك الصلابة في الحق الى اعماق السجون وهو هو لا يتحلحل ولا يزول ، وقد كانت بيني وبينه صداقة متينة لا تصفها الاقلام ولا تتسع لها الصحف ولا يزال يمت الي وأمت اليه باخلاص كبير ومحبة قديمة الى ان افترقت الاجسام وحال بيني وبينه القدر وحجبه الموت فما رأيت منه الا الاخلاص والايمان وما عرفت فيه سوى النزاهة في القول والعمل والجهد المتواصل في البحث والكتابة والتنقيب حتى وهو يغالب ذلك المرض العضال لايفتأ يقرأ ويكتب ويساعد هذه المجلة وغيرها بمقالاته وبحوثه غير مشفق على نفسه وغير عابىء بالالم الممض الذي ينخر قواه ويجره حثيثاً الى القبر ، يبتسم اليك ابتسامة الرضى ويجادلك في مواطن الجدال بصوت اخفته المرض فيشعرك انه عن قريب سيودع الوجود ويلفظ الحياة وهو نفسه كان يصرح من حين لآخر بدنو اجله الى ان فاضت روحه راضية مطمئنة .

وان افضل عزاء على ما نلقاه من الاسى والحزن على فقده ذلك الصفاء الذي استمر بيننا طيلة سنين فلم يعتره وهن ولا أصابته جفوة ولا قطيعة فرحمة الله عليه واسكنه دار المقامة والرضوان .

هذا هو الاخ الذي فقدناه بالامس فخر فقده في الاكباد وتفجرت عيون الطبقات المختلفة بالدمع الغزير

اسفاً وأسى وهو الذي كتب باعماله الخالدات سطراً في تاريخ العمل الوطني وترك للناس مثلا يحتذى في انكار الذات وسمو الهمة وبعد الرأي ولئن كانوا يصفونه بالتطرف في وجهته وحياته فما صدقوا ولو فسح الله له في العمر لكان له فوق ما رأينا اخلاصاً وجهاداً وتضحية ولكن لكل نبإٍ مستقر ولكل اجل كتاب .

فرحم الله فقيدنا وأجمل للامة فيه العزاء .

محمد بن عباس القباج

⁂

وشيعت جنازة الراحل الكريم يوم الاثنين سابع جمادى الاولى في محفل رهيب ، مشى فيه معظم أهل سلا ووفود الشباب من مختلف المدن وتلامذة المدرسة الاسلامية الحرة ، وقام على القبر الاخوان النبلاء سيدي عبد الرحمان حجي الاستاذ بمدرسة أبناء الاعيان وسيدي عمر بن عبد الجليل أحد رؤساء كتلة العمل الوطني وسيدي أحمد معنينو عضو جمعية المحافظة على القرآن فألقوا كلمات وداع واسى ، وكان الخطباء ينطقون عن ضمائر طاهرة فكان لكلامهم على السامعين الاثر العميق .

وهذا نص الخطب على الترتيب الذي ذكرناه :

رحمك الله ياسيد الشباب ومفخرة المخلصين ! وان في فقدك لثلمة لاتسد وخسارة لا تعوض لدى الوطنية الخالصة والايمان الثابت ، وانه لحق ان في موته خسارة على الشباب الناهض العامل لما اجتمت فيه من خصال حميدة قلما يتأتى اجتماعها في غيره فما شئت من اخلاص وصدق وطهارة قلب وصفاء سريرة ومكارم اخلاق وقيام بالمهمات وصراحة في القول وجرأة واقدام في العمل .

والمرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

فرحمة الله عليك أولاً وأخيراً وعوضنا عنك صبراً جميلاً .

⁂

ليس الموقف موقف خطابة ، ولكن لا أقل من أن يقوم أحد اخوان الفقيد في العمل الوطني وهم كثيرون ويودعه باسم « كتلة العمل الوطني » الوداع الاخير ، فمن غيرنا معشر الوطنيين يعرف محمد حصار مثلما نعرفه ويقدر مزاياه وسجاياه مثلما نقدرها ؟

قد استطاع اخونا محمد حصار أن يقوم باعمال جليلة في وقت قصير ولم يمنعه صغر سنه من التبريز في جميعها بما له من المواهب النادرة والاخلاص العظيم .

ومنذ عرفناه في ميدان العمل الوطني عرفنا فيه النشاط والحزم والعزم والصبر وقد كان من أهم مميزاته البحث والتنقيب عن كل المواد التي يمكن أن تنفع وتؤيد الحركة الوطنية فلا يفتأ يبحث عنها في الخزائن العامة وغيرها حتى اذا وجد ضالته قدمها لاخوانه لا ينتظر وراء سعيه جزاءً ولا شكوراً .

وقد كان الفقيد لا يستنكف من أي عمل يعود بالنفع على الحركة الوطنية ولا يانف من القيام بالاعمال الجلية كما يقوم بالاعمال البسيطة ، ولو أردنا أن نذكر بكل أعماله في الجهاد الوطني لطال بنا الوقت ، والمقام لا يقتضي الاسهاب في القول ، ولكن من الضروري أن نذكر بما قدمه الفقيد من الخدمات لجريدة « عمل الشعب » حيث كان يجمع الاشتراكات ويوزع الجريدة ويبيعها ويكتب فيها ، وامثال الفقيد قليلون في هذا الميدان ، اذ يغلب على العامل الذي يقوم باعمال عالية أن ينزل بنفسه الى غيرها ، أما أخونا حصار فكان يقوم بكل عمل اسند اليه دون ان يرى في القيام به تنقيصاً من قدره .

ان الفقيد الذي نبكيه كان من أول من تقدموا ضحية في سبيل محاربة الخمور في البلاد المغربية وموقفه اذ ذاك مع بعض مواطنينا السلاويين يحفظه التاريخ لهم ولا ينساه أبداً .

ان أخانا محمد حصار صودم مرات عديدة اثناء جهاده الوطني ، والصدمات كانت تتوالى عليه من كل ناحية ، فكان دائما يقابلها بصدر رحب وثبات كامل ، وكنا كلما رأيناه نرى على وجهه تلك الابتسامة العذبة «ابتسامة حصار» سواء في ايام الرخاء وايام الشدة.

وتلك الابتسامة التي هي رسم ثباته وصبره في الجهاد الوطني لم تفارقه أيضاً أثناء المرض العضال الذي أصابه منذ سنتين ولازمه الا ان قضى نحبه .

ان حياة محمد حصار مع قصرها كانت درساً للشباب المغربي درس اخلاص ونشاط وتضحية وصبر وثبات .

وقد اراد ان تكون موته درسا لذلك الشباب نفسه فأوصى قبل موته ان يكفن في الثياب الوطنية وان يدفن في مقابر عامة المسلمين، فتكفينه في الثياب الوطنية اخلاص منه لوطنه بعد موته، ودفنه في مقابر العامة اشعار لما تشتمل عليه نفسه من التنازل فهو يعتمد على عمله ليخلد ذكره، لا على شكل قبره، او مكان دفنه، فعسى ان يقتدي به الشباب المغربي ويستفيد من الدروس التي القاها عليه حياً وميتاً.

وفي هذا الموقف لا يسعني الا ان اتقدم باسم «كتلة العمل الوطني» لتعزية عائلة الفقيد ومواطنيه الكرام وكل اخوانه في ميدان العمل الوطني.

السلام عليك ياحصار حياً وميتاً!

سادتي: ان فقد محمد حصار يعد أكبر خسارة في مدينتنا بل في المغرب اجمع.

محمد حصار الرجل العظيم المتصف بأحسن الصفات فما شئت من تواضع وشجاعة واقدام وتضحية، كل هذه الصفات امتاز بها حصار عن بقية اخوانه.

محمد حصار قدم لبلاده أعظم الخدمات وضحى بمجهوداته في سبيل امته وهو لا يزال لم يبلغ الثلاثين من عمره اعمال لم يقم بها من بلغ المائة سنة.

حصار، قطب دائرة أعمالنا ورئيس حركاتنا وسكناتنا بافكاره وشجاعته واقدامه ولسنا الا اتباعاً له و انصاراً، فلقد كان غيوراً ذا اخلاق لا توجد في غيره لا يبالي بمن شتمه أو ذكره بما يكره يقابل كل من أساء اليه بالصفح والعفو والتغاضي بل لايكتفي بذلك فيتقدم الى المسيء بأحسن المعاملات كانه ما أساء اليه قط.

حصار العظيم في حياته وافكاره وأعماله، هو حصار في موته وداخل رمسه.

حصار! ها هو ذا صديقك الذي خبرك وعاشرك في شدتك ورخائك يندبك ويرثيك ولكن ألست الزاهد في كل مظاهر الرفاهية والبذخ ألم تكن تكتفي باليسير في مأكلك ومشربك وملبسك لتحافظ على مبدئك الشريف وعظمتك؟

أيها الشباب والشيوخ ان حصاراً ترك لنا وهو في آخر نفس وصية اي وصية يجب أن نتخذها دستوراً يتبع ومثالا يحتذى، أوصى أن تذهب جنازته صامتة اقتداء بما فعله نبينا عليه السلام وسلف هذه الامة وهي فكرة المصلحين من علماء الدين اذ بالسكوت تحصل العبرة والذكرى بما يؤول اليه الميت، وأوصى أن يكفن في ثياب نسجتها يد مغربية وصندوق نبت خشبه بتراب مغربي وهذا ما يفكر فيه الاقتصاديون لخير المغرب وبنيه، وأوصى أن يدفن بمقابر العامة وذلك أعظم مبدا الديموقراطية أو الانسانية.

فحصار لم يكن بتطلب المظاهر الفارغة في حياته فكذلك لم يتطلبها في مماته بل كان يحب العمل الدائم في تواضع وفيه أفنى عمره فهو من الذين قال الله فيهم: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» الآية وها هو قد قضى نحبه وافيا بعهده فهنيئاً له هنيئاً.

نم في جوار الله مع الانبياء والصالحين من هذه الامة وتنعم في رياض الجنة التي أعدت للمخلصين.

فلقد أديت واجبك حياً وميتاً، فرحمة الله تعمك وتشملك، أمنوا على دعائي أيها السادة! اللهم ارحم فقيدنا وتقبله قبولا حسناً وتجاوز عن سيآته، اللهم ثبتنا على مبدئه واخلاصه حتى نلقاك، والسلام عليك ياحصار حياً وميتاً.

— دواء —

اسبيرين (معامل الرون)

الم الاسنان — ووجع الرأس

ونزلات البرد

والروماتزم

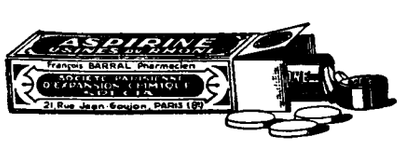

اشهر من ان يعرف بها

— تباع في سائر الصيدليات —